تصدعات في المحور التركي ـ الخليجي

بعد خمس سنوات من التحالف بين تركيا ودول الخليج بقيادة المملكة العربية السعودية حول القضية السورية، أخذت خطوط الصدع بين الطرفين تتحرك في الأيام والشهور الأخيرة، وذلك بالتزامن مع التغير الكامل لموقف الرئيس رجب طيب أردوغان من النظام السوري برئاسة بشار الأسد وانحيازه إلى المحور الروسي الإيراني. وليس من المستبعد أن تشهد العلاقات التركية الخليجية برودة ملحوظة قد تؤدي في نهاية المطاف إلى انتهاء "شهر العسل" بين الجانبين.

بوادر الأزمة بين أردوغان ودول الخليج

فقد بدأ الفتور في العلاقات بين تركيا ودول الخليج بقيادة الرياض في الخفاء أولاً عندما أشار رئيس وزراء تركيا بن علي يلدرم إلى تورط السعودية فيما يسمى بـ"محاولة الانقلاب"، حيث كان أجاب على سؤال حول ادعاءات دعم السعودية للمحاولة بقوله "الدخان لا يتصاعد بدون نار". وقد يكون يلدريم استند في اتهامه للسعودية إلى مزاعم المستشار الأعلى للقائد العام للحرس الثوري العميد حسين دقيقي إذ قال "أردوغان نجا من الانقلاب الذي دبرته السعودية، حيث إن الروس أبلغوه بمحاولة الانقلاب قبل ساعتين من

وقوعه".

حوار "العربية" مع الأستاذ غولن

وجاء رد الفعل السعودي على ذلك بنشر قناة "العربية" السعودية المعروفة حوارًا تاريخيًا أجرته مع الأستاذ فتح الله غولن حول مزاعم أردوغان بشأن الانقلاب الفاشل، وفنّد خلاله كل الاتهامات الموجهة إليه، وكشف القناع عن يد أردوغان في الحادث بهدف تصفية معارضيه، الأمر الذي أقامه ولا أقعده فيما بعد، بحيث مارس الضغط على القناة من خلال هاشتاج #العربية_تتبنى_فتح_الله_كولن، الذي أطلقه جيشه الإلكتروني على تويتر، وشنّ هجومًا شرسًا عليها استخدم خلاله كل أنواع والشتم والإهانة وشتى الاتهامات، ما دفعها إلى حذف فيديو حوارها مع الأستاذ غولن من موقعها، لكن بعد أن وضعت القناة الحجر في زاويته!

حملة العاهل السعودي لدعم حلب

كما أن الحملة التي أطلقها العاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز لمساندة الشعب السوري في مدينة حلب، مقابل اتفاقية انسحاب الفصائل المسلحة المعارضة الموقعة بين كل من موسكو وأنقرة من علامات هذه البرودة بين الأخيرة والمملكة.

العربية تصف أردوغان بـ"الرئيس المهزوم"

ثم طفا انكسار العلاقات الثنائية إلى السطح بشكل علني قبل أسبوعين عندما نعتت قناة "العربية" أيضًا أردوغان بـ"الرئيس المهزوم"، خلال برنامج "دي إن إية" للإعلامي نديم قطامش الذي ناقش مع ضيوفه مخاطر توطيد العلاقات بين أنقرة وطهران، ما أفضى إلى توجيه لجانه الإلكترونية في الداخل التركي وسائر الدول العربية سيلاً من الانتقادات اللاذعة للرياض.

التصريحات العنيفة للسفير السعودي في أنقرة

أما القشة التي قصمت ظهر البعير تجسدت في التصريحات التي أدلى بها السفير السعودي لدى أنقرة الدكتور عادل بن سراج مرداد لموقع بي بي سي العربي. مع أن هذه التصريحات نفاها الجانب السعودي فيما بعد، لكن يبدو لي أن هذا كان من قبيل "عملية الكر والفر"، فهو قد أدلى بهذه التصريحات وأوصل

الرسالة إلى صاحبها (أردوغان)، ثم جاءت خطوة التكذيب للحفاظ على "شعرة معاوية" والعلاقات الحالية والحيلولة دون تدهورها أكثر، أو أن هناك تباينًا في الموقف السعودي إزاء أردوغان على أقل تقدير. وارتأى السفير في هذه التصريحات أن تحوّل موقف أردوغان من القضية السورية غدر للدول العربية، بعد أن كان يرفع دوما شعار "رحيل الأسد" كحل لا بديل عنه. ونوّه السفير بأنه انقلب خلال الآونة الأخيرة على هذا الشعار الذي كان يوما خطا أحمر له، واتهمه بتحويل الانتفاضة الشعبية في سوريا قبل 6 سنوات لمعارضة مسلحة واحتضانِ الفصائل المناهضة للرئيس بشار الأسد، وإدارة ظهره للإنجازات الأخيرة في سوريا وتركها تدمر وتباد، محملاً إياه مسؤولة الخسائر البشرية للمدنيين وملايين المشردين واللاجئين في سوريا.

هذه التصريحات أحدثت صدمة في الرأي العام التركي والسعودي والدولي. وأعتقد أنه ليس من المصادفة أن تأتي تلك التصريحات، بغضّ النظر عن كونها صحيحة أو مزورة منسوبة إلى السفير، قبيل انطلاق محادثات أستانة في 23 من الشهر الجاري.

الفرق بين مباحثات أستانا وسابقاتها

الفارق الأساسي الذي يميز مباحثات أستانا عن سابقاتها يكمن في أن هيئة التفاوض للمعارضة السورية تتألف من ممثلي المجموعات المقاتلة على الساحة فعلاً بدلاً من السياسيين. وبحسب الادعاءات، فإن موسكو هي من أصرّت على ذلك.

هذا الأمر لن يشكّل مشكلة كبيرة بالنسبة لأنقرة، رغم أنه يهمش دور هيئة المفاوضين المعارضين في إسطنبول؛ نظرًا لأن الهيئة التي ستشارك في المباحثات تتكون من المجموعات المسلحة التي موّلتها ودربتها وسلّحتها أنقرة. غير أن تداعيات هذا الأمر مختلفة جداً على كل من الرياض والدوحة، فإلحاح روسيا على ضرورة كون هيئة التفاوض من المجموعات المسلحة أبقاهما تلقائيًّا خارج اللعبة، مما يعني بالتالي خلق روسيا سببًا جديدًا للنزاع بين أردوغان وحلفائه الخليجيين.

لم تبق الرياض مكتوفة الأيدي أمام إقصاءها من مباحثات أستانا بطبيعة الحال، بل مارست ضغوطات على أنقرة لكي تؤثر على بنية هيئة التفاوض بحيث أسفرت عن انضمام "محمد علوش" إلى أعضاء الهيئة بحسب الادعاءات. وما ساقته المصادر الإيرانية حول اعتراف رئيس المخابرات التركية هاكان فيدان المعروف بعلاقاته القوية مع طهران بإحداث كل من السعودية وقطر مشاكل في المفاوضات التي جرت في العاصمة أنقرة بين المعارضين السوريين قد يمثل دليلاً على ما ذهبنا إليه أيضًا.

السبب الحقيقي لغضب السعودية من أردوغان

أظن أن تغير موقف أردوغان من القضية السورية لا يمثل مشكلة أساسية بالنسبة للرياض، حيث إن مفهوم السياسة الذي تتبناه يتمتع بالمرونة التي تسمح لها بتغيير مواقفها عند اللزوم، لكن سبب انزعاجها إلى هذه الدرجة يعود إلى توجه أردوغان بوحده إلى الاتفاق مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وإقصائها من مباحثات أستانة، وذلك إضافة إلى الانزاعاج الخليجي عامة من مبادرات أردوغان إلى التقارب مع إيران.

وإذا قرأنا زيارة وزير الخارجية الكويتي الشيخ صباح خالد الحمد الصباح لطهران أمس الأربعاء، وحمله رسالة من أمير الكويت باسم دول مجلس التعاون الخليجي إلى الرئيس الإيراني حسن روحاني، في هذا السياق، يمكن أن نعتبرها مبادرة خليجية لاسترداد دورها الإقليمي المسروق من طرف أردوغان.

توقعات..

دأبت الرياض على إبداء ردود فعلها من خلال العقوبات الاقتصادية في أثناء الأزمات الدبلوماسية، كما رأينا ذلك مؤخرًا في تعاملها مع كل من لبنان ومصر. إذ اتخذت قرارًا بوقف مساعداتها إلى الجيش اللبناني في أعقاب تجنب بيروت إدانة الهجوم الذي استهدف السفارة السعودية في طهران يوم 2 يناير عام 2016. كذلك اتخذت الخطوة ذاتها مع مصر عندما ظهر الخلاف بين الطرفين في مسألة تبعية جزيرتي "تيران" و"صنافير" في البحر الأحمر، وأوقفت إمداداتها النفطية للقاهرة.

وفي هذا الإطار، من الممكن القول بأن السعودية وقطر قد تقرران اللجوء إلى وقف مشاريعهما واستثماراتهما في الداخل التركي في حال تحول هذه التوترات إلى أزمة حقيقية بين هذه الأطراف. وهناك محللون لا يستبعدون أن يكون هدفُ أدبيات وخطابات أردوغان حول تعرض تركيا لـ"هجمات ومؤمرات اقتصادية" في أعقاب ارتفاع الدولار أمام الليرة دولَ الخليج.

وغني عن البيان أن أردوغان لن يستطيع تعويض أضراره إذا ما خسر دول الخليج بقيادة السعودية التي ظلت متحالفة معه ودعمته اقتصاديًّا في وقت كانت علاقاته فيه سيئة مع كل من إيران والعراق وسوريا ومصر. وأردوغان يدرك ذلك جيدًا ويحاول إيجاد طرق تكفل له بقاء حلفائه الأغنياء إلى جانبه، لكن يبدو أن هذا الأمر ليس بيد أردوغان وإنما بيد حليفه الجديد الرئيس بوتين.

بقلم : يافوز أجار